

الأمسية الحادي عشر من سلسلة:
أنا والآخرين .. قصة وئام
ضمن فعالية "دفع البيوت ونورها"
بعنوان:
الحُب الذي اختارته السماء لنا



للمدربة والمرشدة والمستشارة:

أ/ عائشة الصلاحي

7 / 8 / 2023 م

كبار السن فئة صعبة لا يمكن فهمها ببساطة، في هذا البرنامج سنعلمك كيف تتعامل معها وتفهمها بشكل صحيح.

الإنسان يختار كل شيء في حياته لكن أين ولمن يولد ومن أسرته وموطنه هذه أمور تختارها له السماء لحكمة بالغة.

الله اختارني في هذا الزمن هذا هو الخير المطلق لي، وإيماني بحكمة الله البالغة. أغلب الناس يعترض على أسرته لأنهم (مش مناسبين لي)، ولكن الأصل أن أضل دائماً مع أسرتي.

قد تعترض.. قد لا يعجبك ما تم اختياره لك من أسرتك ووالديك لكنه امتحانك فماذا ستصنع حيال ذلك؟!!

الأسرة هي اختيار الله لك من السماء، الله أدرى بنا وما يناسبنا.

هذه الأمسية ستكون عن مسؤوليتنا لكل كبير وليس فقط الأب والأم.

الاعتناء بشخص لا يعني الرغبة الصادقة فقط.. بل القدرة الواعية أيضاً، لذا تعلم وإتقان هكذا أمور هو فرض واجب على الجميع، ولا عذر للجاهل أو للمرتجل الغافل كما لا عذر للمتكاسل أو العاق الجاحد..

كل كبير سن أنا مسؤول عليه.

تعلم فئة كبار السن فرض واجب نتعلمه.

تفاصيل كبار السن جميلة.

لنبدأ من البداية.. من هو كبير السن؟

لو قلنا هو الذي تجاوز الستين من العمر سيكون هناك خلل في التعريف، والكثير من الضبابية حول حقيقة احتياجاته ككبير بالسن.

ستكون عزيزتنا كتايون على أبواب كبيرة بالسن بعمر ٥٦ سنة ويُقال ٦٠ سنة!

وأيضاً معنا ليو!

يعني كم عمره الآن وما زال يقدم أفلام أكشن بنفس اللقطات الخطيرة؟!!

الحقيقة أنه في ناس لا تعرف معنى أنها تخطت الستين.. وما زالت في عز شبابها.

إذن العمر البيولوجي على الأرجح ليس هو المعنى الدقيق لكبار السن حتى لو كان التعريف العالمي له، خاصة عندنا.

عندنا مرحلة كبار السن تبدأ من الخمسين، وأحياناً تظهر علامات العجز والتدهور الجسدي في الأربعينيات، لذا متوسط الحياة في البلدان النامية أقل من البلدان المتقدمة بكثير.

الكثير من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتقاليد والأعراف والظروف الداخلية في الدول النامية والمتخلفة مثل الحروب والمجاعات والاضطرابات تجعل علامات الكبر في السن تأتي مبكرة، ويبدأ الجسد المعجزة في التدهور والتوقف على قطعة قطعة.

وتخبرنا التقارير العالمية بين عامي ٢٠١٩ و ٢٠٣٠، من المتوقع أن ينمو عدد الأشخاص الذين تبلغ أعمارهم ٦٠ عاماً أو أكثر بنسبة ٣٨٪، من مليار إلى ١,٤ مليار، وهو عدد يفوق عدد الشباب على مستوى العالم، وستكون هذه الزيادة الأكبر والأسرع في العالم النامي، والاعتراف بضرورة إيلاء مزيد من الاهتمام للتحديات المحددة التي تؤثر على كبار السن، بما في ذلك في مجال حقوق الإنسان.

حقائق وأرقام:

- تعرّض حوالي ١ من كل ٦ أشخاص في سن ٦٠ عاماً أو أكبر لشكل من أشكال سوء المعاملة في البيئات المجتمعية خلال العام الماضي.
- معدلات إساءة معاملة المسنين مرتفعة في مؤسسات مثل دور رعاية المسنين ومرافق الرعاية طويلة الأجل، حيث أبلغ ٢ من كل ٣ موظفين عن ارتكابهم للإساءات في العام الماضي.
- زادت معدلات إساءة معاملة المسنين خلال جائحة COVID-19.
- يمكن أن تؤدي إساءة معاملة المسنين إلى إصابات جسدية خطيرة وعواقب نفسية طويلة المدى.

حقائق وأرقام:

- من المتوقع أن تزداد إساءة معاملة المسنين حيث أن العديد من البلدان تعاني بسرعة من شيخوخة السكان.
- سوء المعاملة لكبار السن من الممكن أن يؤدي إلى خطر في حياته أو إعاقته.
- سيتضاعف عدد سكان العالم الذين تبلغ أعمارهم ٦٠ عاماً فأكثر، من ٩٠٠ مليون في عام ٢٠١٥ إلى حوالي ٢ مليار في عام ٢٠٥٠.

المصدر: الموقع الشبكي لمنظمة الصحة العالمية
[\(https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/abuse-of-\(older-people\)\)](https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/abuse-of-(older-people))

هذا الخزي الإنساني ليس جديد على البشرية!

منذ فجر التاريخ كانت الشعوب والقبائل والمجتمعات القروية تضحي بكبار السن والعاجزين في المجاعات، وكان لذلك طقوس سنوية مخيفة ومشينة جدا في أفريقيا والصين وأرجاء آسيا و أوروبا.

في العالم المادي والذي تهيمن عليه الحسابات الجافة المنحطة يُعد من لا يعمل هو العبء على المجتمع، وهذا ما دفع مجتمعات لقتل كبار السن و المرضى المزمنين والمعاقين و المختلين عقلياً بل وإبادتهم عن بكرة أبيهم منذ اسبارطة وإمبراطورية المغول والنازيين والشيوعية وغيرهم، حيث كانت هذه الفلسفة التي يعتمد عليها المجتمع الكامل المثالي.

و ها هي فضيحة العالم المتقدم في كورونا...تركوهم للموت بلا أي مبالاة ..
 مما يقودنا لسؤال جوهري جداً:

ما الذي يحدد قيمة الإنسان وأهميته وسعره في المجتمع؟

هل من حقنا أن نصدر قرار بأن شخصاً ما حياته بلا قيمة؟!

هل دم إنسان أرخص من إنسان آخر؟

هل مكانته أقل من شخص آخر تحت أي معيار؟

كيف تحدد صرفياتك على إنسان؟

كيف تحدد ما تمنحه من العناية والاهتمام والوقت والود؟

ما المعايير التي تعتمد عليها لتمنحه الأولوية؟

هل هي النفعية و الإنتاجية أم النقود أم القوة أم الجمال أم المزاج أم الحسب والنسب؟

ماذا سيشعر المرء في مجتمع يأخذ منه كل شيء ثم يرميه في حاجته و ضعفه؟

لن نبالي بك فلم تعد قوي و لا منتج وبلا علاقات.

لم تعود شاباً و لا قوية و لا جميلة لتعملي ولا لتمتعي من يعمل...

لذا سنهملك إلى أن تموت..أي مجتمع هذا؟!

في الأنثروبولوجيا تحدد إحدى الباحثات أن بداية الإنسان كإنسان متحضر حين وجدوا أن هناك كسر في قدم هيكل عظمي تم تجبيره؛ يعني تم الاعتناء به.

أي شخص ضعيف أو مريض أو معاق لابد أن يكون الجميع مسؤول عنه.

الإنسانية تعني أن لا تترك أحد خلفك وأن لا تفرق بين إنسان وإنسان مهما كانت الاعتبارات الاجتماعية، مادام إنسان ومحتاج فأنت تمنحه الرعاية والاهتمام، هذه هي الإنسانية.

نحن لسنا سحالي و لا صراصير، مؤشر مهم لمستوى الرقي والنضج، الحيوانات الراقية نفسها لا تتخلى عن أعضاء القطيع مهما حدث لهم، تحترم كبار السن و تقدمهم للمشورة والحماية كال التزام أخلاقي.

المجتمعات الراقية المتحضرة فكرياً و أخلاقياً عرفت بالتقاليد التي تحرص على تبجيل كبار السن كفطرة إنسانية، وجعلهم أيقونة للوطن وللملجأ القيمي والمحضن الروحي والعاطفي.

الإسلام جاء لإتمام هذه الفطرة و هذه المكرمة ورفعها في أعلى المقامات.

"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"

الإنسان إذا تقدمت به السن يشيب شعره، ويضعف بصره، وتعتل صحته، كأنها رسائل لطيفة من الله إلى عبده الذي تقدمت به السن

"أن يا عبدي كبرت سنك، واقترب أجلك، فاستعد لهذا اللقاء، استعد له وأنا أنتظر"

الناقلي

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ))

[أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ]

النبي يؤكد:

((إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم))

[أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ]

في أي مكان و أي زمان.. أكرمه واحترمه و قدم له التبجيل، فهو أب أحدهم أو جد أحدهم..

في الحضارة الإسلامية

كانت الدولة الإسلامية تصرف المرتبات و نقود الإعاشة لكل من كبر بالسن، لكل الفئات حتى من غير المسلمين، و قصة عمر بن الخطاب مع كبير السن اليهودي شهيرة.

كما أن الدولة مع تطورها في العهد الأموي والعباسي وصلت لأفضل صور الاعتناء بهم في الأماكن الخاصة بهم، و المنتجعات و تفقد أحوالهم، ومنع استغلالهم مالياً، أو الإساءة إليهم وبقى ذلك متوارثاً كدلالة لعدل الحاكم والتزامه بتعاليم الإسلام .

وفي كل الحروب الذي خاضها المسلمون كانت أخلاقيات الحرب التي أوجبها الرسول عليه الصلاة والسلام تمنع أي إيذاء أو ملاحقة لكبار السن مهما كانت المبررات، فهم ككل الفئات الضعيفة مسؤولية أخلاقية واجبة على المسلمين.

بعض الآداب التي أوردها العلماء لكل كبار السن

* مبادرة المسن بالتحية والسلام والمصافحة، ولا بأس بتقبيل رأسه أو يده إذا كان أباً، أو عالماً، أو جداً كبيراً في السن.

* إجلال ذي الشبهة المسلم، أن يجلس الإنسان بحضرته بوقار.

* ألا يناديه باسمه، ألا يمشي أمامه، وألا يجلس قبله.

* هو بحاجة اجتماعية، بحاجة إلى توقيره، بحاجة إلى ذكر فضائله، بحاجة إلى ذكر فضله على من حوله، هذه كلها حاجات أساسية في الإنسان فإذا لبينا هذه الحاجات جعلناه في حال نفسي متوازن وسعيد.

* سؤال المسن عن ماضيه وذكرياته وإنجازاته، والإصغاء إليه، وعدم مقاطعته في الحديث.

* عدم التبرم والضجر، فالإنسان في عمر معين تضعف ذاكرته.

* ساعدهم ولا تخرجهم ولا تشعروهم بالعجز.

*أعظم الأعمال إدخال السرور على قلب المسلم.

*الإسلام ذوق وأخلاق وتعامل.

*يفهموا بالذوق أفضل منك.. تعلم منهم.

*كرماء أكثر منك.. تعلم منهم.

*نفوسهم عزيزة ومنجزون أكثر منك.. تعلم منهم.

*يفهموا بالسعادة أفضل منك.. تعلم منهم.

*يفهموا بالحب أفضل منك.. تعلم منهم.

*تعلم الحنية وعيش حياتك واللحظة.

هذا لكل كبير سن فكيف لو هم والديك أو والدا والديك؟!

(كما ربياني صغيراً)

حين تخسرهم ستعرف أن العقبات والأعداء كانت أو هام.

من أكبر النعم أن يعيش الأب والأم معك.

عَلِّم وعَلِّمي أولادك كيف يحترموا الجد والأب والأم بحب.

فالإنسان بسن معينة يأكل ما يشتهي، ويلبس، ويسافر، ويركب السيارة، ويسكن في بيت، الآن مطالبه في الحياة مطالب اجتماعية أن يرى أحفاده أمامه، أن يرى أولاده أمامه، أن يرى كنائه أمامه، أن يرى بناته أمامه، أصهاره أمامه، هذه حالة مسعدة جداً.

مرة زرت بيت عالم بحلب، والله البيت كأنه جنة، جالس بين أولاده وأقربائه. هناك ملمح في القرآن الكريم :

(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا)

الحل في العلم والرشد وتقوى الله.

ازدواجية الدور هي المطحنة الحقيقة للإنسان:

- بين الحب و الشعور الدائم بالتقصير ينسحق قلبه تماماً.

- بين العدل لهم و العدل معهم.
- بين أن تحافظ على استقلالك وأن لا تتخلى عن بركة مشورتهم وإسهاماتهم في حياتك.
- بين أن تنطلق في حياتك ولا تخلفهم خلفك.

هذا الإنسان له ماض، تزوج وأنجب وربي أولاده، ألا ينبغي أن يُرد له الجميل ؟

أنا أرى أن ردّ الجميل للجد هو إكرامه، وبذل وقت وجهد ومال في تربية أولاده، فلما كبرت سنه في ثقافات أخرى يتخلى عنه ، وهذه أكبر مأساة، أما حينما يكون مع أحفاده وأولاده فهناك نشاط فكري. دائماً عندنا قاعدة في الطب : العضو الذي لا يعمل يضمر، لو كسرت يد إنسان ثم جبرت لشهرين أو ثلاثة يخسر نصف العضلات تقريباً، يذوب اللحم، هناك قاعدة بالصحة: العضو الذي لا يعمل يضمر، وهذا الدماغ ما دام يعمل يرى أحفاده، يرى أولاده، يرى إخوته، من حوله، أقرباءه، هناك حديث، وملاطفة، وسؤال وجواب، وطرفة، و نشاط ذهني، حتى إن الذي يطلب العلم والذي يصلي بالتسعين الله أكبر، سبحانك اللهم، فاتحة، سورة، ركوع، سجود، قعود، قيام، ركوع، سجود، قعود وسطي، هناك نشاط فكري مستمر، هذا النشاط يذكرنا بهذا القول: "من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت".

(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ)

[سورة الإسراء: ٢٣]

وقال بعضهم: لو أن في اللغة كلمة أقل من أف لقالها الله عز وجل، وقد حمل بعض العلماء كلمة أف تصرفات كثيرة جداً: ما برّ أباه من شدّ نظره إليه، هه مثل أف، من أغلق الباب بعنف، حملوا أشياء كثيرة. والحقيقة لما الله عز وجل قال:

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

[سورة الإسراء: ٢٣]

هذه الباء تفيد الإلصاق، أي أنت حينما يطلب منك شيء من قبل أبيك يجب أن تقدمه أنت بنفسك لا عن طريق سائق أو موظف، هذه باء الإلصاق، من الأدب الكامل مع الأب، الجد أن تخدمه بنفسك، وأن توصل له ما يطلب بنفسك.

مهما كانت انتقاداتك على طريقة تربيتهما لك.. يكفي أن والديك لم يتخليا عنك..
لقد ربياك صغيراً.

خير خلف لخير سلف بالتطبيق والقوة وليس بالمحاضرات والصياح.

هم بركة البيت وسلسلة النسب الوثيقة وحنان فريد للأطفال.

إنها الجنة حقاً

- * لا عيبه كما لا عيبك ولو مرة واحدة.
- * خليه يدلل عليك كما دلك ولو مرة واحدة.
- * احميه كما حماك ولو مرة واحدة.
- * انتظره في ممر المستشفى كما انتظرك ولو مرة واحدة.
- * خبيه من العالم القاسي كما خباك في كنفه ولو مرة واحدة.
- * اخفض له جناح الذل من الرحمة كما رحمك ولو مرة واحدة.
- * ضمه بقوة كما ضمك ولو مرة واحدة.
- * ابذل جهدك فقد بذلوا كل جهدهم لتكون أنت أفضل منهم.
- * قدر أحزانه وغروب الأنجم في سماءه.
- * اجمعه برفاقه وأصحابه فهو يشفق لهم مثلك.
- * ساعده يتعبد وكن عون له ومعه من أحب.
- * كن دائماً معه خليه يتعبد.
- * علمه القراءة واجلس معه تحفظه القرآن وتتدارس معه العبادات التي يسأل عنها.
- * خليه يشغل خفيف ولا تهمشه ودائماً أشعره بأهمية دوره وأنه هو الأساس.
- * أعطه حيوان يؤنسه وساعده للاعتناء به.
- * خليه يحكي كيف كنتم معه.
- * يدخل و يخرج و يصل الجميع وأنت معه خطوة بخطوة.
- * شجعه ليلعب لو أراد.
- * الأدب فوق كل شيء.

فتوى مثيرة بين اثنين من فقهاء الجزائر و هما:

الشيخ: موسى إسماعيل، والشيخ: الطاهر آيت علجت،

الأدب فوق كل شيء :

الموضوع أن أبناء أصيب والدهم بالزهايمر، وهو داء النسيان المعروف، فذهبوا يستفتون الشيوخ في هذا الأمر.

فقالوا للشيخ موسى إسماعيل:

والدنا مريض بالزهايمر، فهو يأكل ناسياً في نهار رمضان فماذا علينا فعله؟
فأجابهم بقوله: أبوكم قد زال عقله والعقل مناط التكليف فهو غير مكلف بالصوم أصلاً وبالتالي فلا شيء عليه.

ثم ذهبوا للشيخ (الطاهر) بنفس السؤال فأجابهم الفقيه الورع :

أطعموا عن والدكم عن كل يوم مسكيناً، فلئن تعاملوا والدكم معاملة المريض أحب إليّ من أن تعاملوه معاملة المجنون.

فسمع الشيخ موسى إسماعيل بهذه الفتوى فبكى وقال: حفظ الله الشيخ الطاهر فالفتوى قبل أن تكون فتوى يجب أن تكون تقوى.

فقد لاحظ الشيخ أن في هذه الفتوى تقوى وبر وأدب مع الوالد، ورأى أنه من العقوق أن يعامل الأبناء أباهم معاملة من ذهب عقله، حاله كحال المجنون، بل أمرهم أن يعاملوه معاملة المريض وهذا الفهم هو ما أبكى الشيخ موسى إسماعيل.

اللهم ارزقنا الفقه مع الأدب وارزقنا البر بوالدينا أحياءً وأمواتاً. آمين آمين.

مهما كبرت.. مهما قويّت.. يظلوا هم الحزن و الدفء الذي ليس له مثيل.. بدونهم أنت بلا مرفأ ترسو اليه .. أظهر حاجتك لهم..

لقد ذهب عمره وقوته لأجلك فكيف تتخلى عنه الآن ؟!

أجمل وأحسن ما تقدمه للوالدين ولكل من يحبك:

هو أن تكون سعيد وقوي يركن عليك.

أن تكون أنت لهما في أحسن حالاتك مع نفسك لا أن تتخلى عن نفسك لأجلهما أو لأجل أي أحد .. هذا البر الحقيقي.

هل بقي من برهما شيء؟

عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به

بعد موتهما؟ فقال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما.
رواه أبو داود.

دعونا ننشئ أماكن متخصصة لكبار السن.. نوعي المجتمع عنهم ونقدم خدمات متخصصة لهم تساعد أولادهم وأهاليهم على برهم، و نقدم لهم الدعم و نحفظ شبيبتهم.

من ذا الذي ينذر حياته في رسالة سامية ترعاهم؟
لنا الله نحن الذين فقدناهم، كيف نمضي و قناديلنا قد انطفأت؟!

في أمان الله

عائشة الصلاحي

